الأعمالُ بالنيّة

عن عمر بن الخطّاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول[1]: **«إنّما الأعمال بالنيّة، وإنما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»**.

اللغة:

الأعمال: جمع محلّى بـ أل يفيد العموم كما قال البخاريُّ، والعمل حركة البدن بكله أو بعضه، وربما أُطلق على حركة النفس، وعليه يمكن أن نقول: **العمل**: إحداث أمرٍ قولاً كان أو فعلاً، بالجارحة، أو القلب، لكن الأسبق إلى الفهم الاختصاص بفعل الجارحة.

بالنيّة: النيّة: القصد.

وتركيب: **«إنما الأعمال بالنيات»** يفيد الحصر؛ لأنه من حصر المبتدأ في الخبر، أو قصر الموصوف على الصفة كما يقول البيانيون.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الوحي (الحديث: 1)، وفي كتاب: الإيمان، (الحديث: 54)، وتكرر الحديث في البخاري (الحديث: 2529)، و(الحديث: 3898)، و(الحديث: 5070)، والترمذي في فضائل الجهاد (الحديث: 1647)، وابن ماجه في الزهد (الحديث: 4227).

فالمعنى: كل عملٍ بنيةٍ، فلا عمل إلا بنية.

وأصل «إنّما»: إنّ (حرف توكيد) دخلت عليها «ما» الكافة وهي حرف زائد.

لكل امرِىء: بكسر الراء، أي: لكل رجل، والمقصود هنا: لكل رجل وامرأة ما نوت.

هجرته: الهَجْر: ترك الشيء، والإعراض عنه، والهجرة ترك البلد إلى غيره. والمقصود هنا: الهجرة المعيَّنة وهي هجرة خاتم النبيين ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، الهجرة التي أُرّخ بها تاريخ الإسلام.

دنيا: بوزن (فُعْلى) من الدنوّ ضد العلوّ، وهي كل المخلوقات من الجواهر والأعراض الموجودة قبل الآخرة.

ما يفهم من الوصية:

اعلمي **أيتها المسلمة** أن هذا الحديث حديث: **«الأعمال بالنيات»** حديث جليل الموقع، عظيم المكانة، وهو من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، قال الإمام أحمد، والإمام الشافعيّ: إنه يدخل فيه ثلث العلم، وذلك لأهمية مضمونه وشموله.

وقد ابتدأ هذا الحديث النبويّ بهذا التعميم الشامل: **«إنما الأعمال بالنية»**، فأتى بلفظ: **«الأعمال»** الذي يدل على العموم والشمول للأقوال والأفعال، والتصرفات التي يقوم بها الإنسان كافّة. وجعلها مرتبطة **بالنية**، وبذلك شمل اللفظ كل الأعمال حتى المباحات من الطعام والشراب والملبس، فإنها تُقوَّم بالنية. فإذا

تعاطاها الإنسان بنية صالحة كالتقوى على واجباته اللازمة له فإنه يثاب عليها، وإن قصد مجرد التمتع فهو عمل مباح لا ثواب فيه ولا عقاب.

وإن قصد من وراء ذلك التكبر والتفاخر مثلاً يعاقب على ذلك.

أيتها الأخت المسلمة: تلاحظين أن هذا البيان النبويّ الشريف قد شمل كل جوانب الحياة، **فأحسني نيتكِ**.

وينبغي عليك أن تبحثي عن المقاصد السامية الرفيعة العالية وتترفعي عن الغرائز والسفاسف، فإن الله ﷻ يحب معالي الأمور ويكره سفسافها.

وقد خصّص البيان النبوي **«الهجرة»**، وذلك بسبب قصة تاريخية وقعت وهي قصة مهاجر أم قيس، والقصة مروية في **«المعجم الكبير»** للطبراني، قال: «كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها: أم قيس، فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر، فهاجر فتزوجها، قال: فكنا نسمّيه: مهاجر أم قيس».

كما أن الحديث خصّص **«المرأة»** وذكرها بعد **«الدنيا»** من بين الدوافع. والغرض من ذلك واضح جليّ، وهو الاهتمام ولأن التأثر به أشد.

وفي الختام نذكر قول الإمام أحمد بن حنبل في هذا الحديث: «إنه يدخل فيه ثُلُث العلم» أي: الدين.

وتفسير هذا: إن كسب الإنسان إما بقلبه أو بلسانه أو بأعضائه

الأخرى، وقد شمل الحديث ما يتعلق بركن القلب وهو ثلثها!

إذن **أختي المسلمة**: النية عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح، فأخلصي نيتك للواحد الأحد.

وتذكري قول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: 5]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 29].

الدين النصيحة

عن تميم الداريّ أن النبيّ ﷺ قال[1]: «**الدينُ النصيحةُ**». قلنا: لمن؟ قال: «**للهِ، ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامّتهم**».

اللغة:

النصيحة: من قولك: نصحت العسل، إذا صفيته من الشمع، أو من النصح وهو الخياطة بالمِنْصحة: الإبرة، **والمعنى**: إنه يلمّ شعثه بالنصح كما تلمّ بالمنصحة.

ومنه التوبة النصوح، فكأن الذنب يمزق الدين، والتوبة تخيطه[2].

---

(1) أخرجه **أبو داود** في كتاب: الأدب (الحديث: 4944)، و**النسائي** في كتاب: البيعة (الحديث: 4208)، و**مسلم** في كتاب: الإيمان، وهو في شرح صحيح مسلم للنووي (الحديث: 194).

(2) القرآن والحديث، د. نور الدين عتر، مطبوعات جامعة حلب، 1996، (ص: 291).

ما يُفهم من الوصية:

هذا حديث نبوي عظيم الشأن **أختي المسلمة**، وعليه مدار الإسلام. وأساس فهم هذه الوصية هو معرفة معنى كلمة **«النصيحة»** هذه الكلمة الجامعة المعبّرة.

قال الإمام أبو سليمان الخطابي البُستيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: النصيحة كلمة جامعة معناها: حيازة الحظ للمنصوح له. ويقال: هو من وجيز الأسماء ومختصر الكلام، وليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفي بها العبارة عن معنى هذه الكلمة، كما قالوا في الفلاح: ليس في كلام العرب كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة منه.

ومعنى الحديث: عماد الدين وقوامه النصيحة، كقوله ﷺ: **«الحج عرفة»** أي: عماده ومعظمه عرفة.

وأما تفسير «النصيحة» وأنواعها فقد ذكر العلماء فيها كلاماً نفيساً، نضم بعضه إلى بعض مختصراً.

أمّا النصيحة لله تعالى:

فاعلمي **أيتها الأخت المسلمة** أن معنى **«النصيحة لله»**: الانصراف إلى الإيمان به، ونفي الشرك عنه، وترك الإلحاد في صفاته. ووصفه بصفات الجلال والكمال كلها، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع النقائص، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، والحب فيه والبغض فيه، وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه، وجهاد من كفر به، والاعتراف بنعمته وشكره عليها. والإخلاص لله سبحانه في الأمور كلها.

واعلمي أن حقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصحه نفسه، فالله تعالى غنيّ عن نصح الناصحين.

وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى:

فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيلُه، لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقْدر مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق التلاوة وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه عند التلاوة، والتصديق بما فيه والوقوف على أحكامه، وتفهّم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكّر بعجائبه والعمل به.

وأما النصيحةُ لرسول الله ﷺ:

فتصديقه على الرسالة التي جاء بها، والإيمان به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حياً وميتاً، ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره وإحياء طريقته وسنته، وبثّ دعوته ونشر شريعته واستثارة علومها والتفقه في معانيها، والدعوة إليها، والتلطّف في تعلّمها وتعليمها.

فحافظي **أيتها الأخت المسلمة** على هذه الأمور لتسلمي في الدنيا والآخرة.

وأما النصيحةُ لأئمة المسلمين:

فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم وتنبيههم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم.

واما نصيحةُ عامةِ المسلمين:

وهم عامة الناس تكون في إرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم، وسدّ خلّاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأَنْ يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم، وغير ذلك.

الحلالُ بيِّن والحرام بيِّن

عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول[1]: **«إن الحلال بيّن[2]، وإنّ الحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهنّ كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعِرْضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»**.

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان (الحديث: 52)، وأبو داود في كتاب: البيوع والإجارات (الحديث: 3329)، والنسائي في كتاب: البيوع (الحديث: 4465)، وابن ماجه في كتاب: الفتن (الحديث: 3984). وفي شرح مسلم للنووي (الحديث: 4070).

(2) ورد لفظ الحديث في البخاري بدون «إنّ».

اللغة:

بيّن: واضح ظاهر.

مشتبهات: أي: اكتسبت الشبه من وجهين متعارضين فصارت مشتبهة ومشكلة.

استبرأ: حصّل البراءة، أي: الخلاص والسلامة.

الحِمى: (بكسر الحاء): المقصود هنا: الكلأ منع الناس عنه مع تهديد ووعيد من دخله ورعى فيه.

مضغة: قطعة من اللحم.

ما يُفهم من الوصية:

هذا الحديث: «**الحلال بيّن والحرام بيّن**» حديث عظيم الشأن عظيم الموقع في بيان مقاصد البيان النبوي ووظيفة الإبلاغ التي جاء بها خاتم النبيين ﷺ.

ويهدف هذا الحديث الشريف إلى بيان طبيعة الأحكام بالنسبة لعامة الناس، ووجوب التزام الوقوف عندها. ويضرب الحديث النبوي المثل لذلك بحدود الحمى الذي كان يحذر منه، ثم يحيل الحديث كل إنسان ليتحاكم أمام ضميره، وذلك بعد أن يقوم بإصلاح بنيان هذا الضمير الذي عبّر عنه بالقلب.

أختي المسلمة:

افتتح الحديث النبوي بهذه العبارة: «**الحلال بيّن والحرام بيّن**»

ليقرّر أن الشريعة بيّنت بأدلتها الحلال والحرام، حتى صار كل واحد منها (بيّناً) ظاهراً بنفسه. وقد عبّر بالجملة الإسمية لإفادة ثبات هذا الحكم واستقراره واستمراره. وإذا كان الأمر كذلك فعلى الإنسان الأخذ بما علم وتبيّن له من الحكم، فالحلال يستحلّه، والحرام يجتنبه.

ولكن ثمة أشياء لها وجه يشبه الحلال، ووجه يشبه الحرام. وهذا كما عبّر: «**وبينهما أمور مشتبهات**» وهذه المشتبهات لا يعلمها **كثير** من الناس، فالعلماء يعرفونها؛ لأن الله ﷻ جعل عليها دلائل يعرفها أهل العلم.

وهذا الحديث الشريف أرشد المسلمة إلى المنهج الذي يجب أن تتخذه أمام مفترق الطرق واختلاطها.

فينبغي عليك الأخذ بالتيقن والاحتراز من الشبهات.

«**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**»:

فقد عبّر البيان النبويّ بالفعل (اتقى): الذي يشير إلى خطر يجب أن تتخذ الوقاية منه، ثم «**استبرأ**» الذي يدل على المبالغة في تحقيق المطلوب. وهو السلامة للإنسان من وجهين:

- **الوجه الديني**: بينه وبين ربه.

- **الوجه الدنيويّ**: وهو سمعته التي عبَّر عنها بقوله: «**عِرضه**» فلا يتناوله أحد بالطعن فيه والنيل منه.

وقد سلك البيان النبويّ بعد الإشارة طريقة العبارة الصريحة بأنْ حذّر من الوقوع في الشبهات بأن عاقبته غير حميدة فضرب له هذا

المثل: الراعي الذي يرعى حول الكلأ يوشك أن يواقعه. فشبّه الحديث حال من يقع في الشبهات ولا يحترز من أن يفعلها بحال الراعي المتهوّر الذي يرعى حول المكان المحظور، فإنه مُعرّض للوقوع فيه في أي ساعة من ليلٍ أو نهار؛ لأنه لا يأمن أن تندّ بعض ماشيته وتدخل الحمى، فكذلك لا يأمن الإنسان شرود نفسه أو بعض جوارحه بعمل يدخل في الحرام.

«ألا وإنّ لكل ملكٍ حمىً»:

أيتها الأخت المسلمة استكمل البيان النبوي التشبيه بهذا المثل يضربه قاعدة عامة: «**لكل ملكٍ حمىً**» وذلك أن ملوك العرب كانت تحمي مراعي لمواشيها، إذن من لوازم الملك (الدولة) حمى حدوده.

وملك الملوك: الله ﷻ له حمى يحذّر من الوقوع فيه قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: 187] وقد فسّر الحديث حدود الله وحماه، ألا وهي المحارم أي: الأمور التي حرّمها على عباده.

فلا تتعدي حدود الله أيتها المسلمة ولا تقربيها!

«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»:

أختي المسلمة اختتم البيان النبوي هذا الحديث ببيان الأصل الذي يستقيم به الأمر، وهو سبيل النجاة من الهلاك والبعد عن الحمى ألا وهو القلب، مركز الإدراكات، وتوجيه الإرادات، فهو بمنزلة السلطان للبدن، والأعضاء كالرعية تحت أمره.

«**في الجـد مضغة**» أي: قطعة صغيرة تُمضغ في الفم، غير أن هذه المضغة لها أهمية كبيرة؛ لأنها تنطوي على أمور جليلة.

فهذه الوصية من وصايا خاتم النبيين ﷺ مع وجازتها تعبّر عن معاني كبيرة في حياة المسلمة.

وقد أجمع العلماء على عظمة هذا الحديث حتى قيل: إنه ثلث الإسلام. وهذا حق، وهذه الوصية من جوامع الكلم، وبدائع الحِكَم لعظمة مدلوله مع فصاحة أسلوبه.

وهذه الوصية، **أختي المسلمة**، اشتملت على التفصيل بين الحلال وغيره وعلى تعلق جميع الأعمال بالقلب، كما قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

والسبب في عِظم موقعه أنه نبّه على صلاح المطعم والملبس والمشرب والمنكح، وغير ذلك من كل ما يتصل بالإنسان، وأنه ينبغي أن يكون حلالاً، وأرشد إلى معرفة الحلال، وأنه ينبغي ترك الشبهات، ثم بيّن أهم الأمور وهو مراعاة القلب، والمراعاة له تكون في الابتداء بتغذيته بعلم الحلال والحرام والتمييز الدقيق بينهما في الشبهات، والاحتكام في ذلك إلى نداء الضمير الحيّ.

أركان الإسلام

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ[1]: «**بُني**

(1) متفق عليه، واللفظ لمسلم وانظر (الأحاديث: 111، 112، 113، 114) من شرح صحيح مسلم للنووي.

الإسلام على خمسٍ: شهادةِ أن لا إلٰه إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان».

اللغة:

شهادة أن لا إلٰه إلاّ الله: أن يقولها صادقاً من قلبه.

الصلاة: الدعاء. والمقصود هنا: أداء الصلوات الخمس حقّ أدائها والمحافظة عليها.

الزكاة: النماء، والتطهير من الأدران. والمقصود هنا: فريضة الزكاة، وسُمّيت: «زكاة»؛ لأنها تؤدي إلى نماء الخير في المجتمع وإلى نماء مال المُزّكي وتطهير نفسه من الشح والبخل.

الحج: القصد إلى معظَّم. والمقصود هنا: مقصد الكعبة المشرفة لأداء مناسك الحج.

ما يُفْهم من الوصية:

هذه الوصية أو الحديث الشريف يبيّن لك **أيتها الأخت المسلمة**، أهم ما دعى إليه خاتم النبيين ﷺ، من الواجبات العملية التي تظهر شخصية المسلم والمسلمة كمسلمين.

وهذه الأعمال هي بمنزلة الهُويّة تثبت شخصية صاحبها وبلاغة هذا الحديث تأتي من تصوير المعنى الفكريّ بأشياء مادية محسوسة لنا يفهمه كل إنسان.

فالبيت من الضرورات في هذه الحياة، ولكل بيت خمسة أركان، وفيه تهدأ النفس الإنسانية وتشعر بالطمأنينة. والبيت كما

تعلمين مكون من أربع جدران وسقف، وكذلك قوام الإسلام وثبات وجوده على هذه الأمور الخمسة المذكورة في الحديث.

فإذا اختلّ أحد أركان هذا البيت اختلّ البيت. وكذلك الإسلام إذا اختل أحد أركانه اختل دين المرء أو المرأة. وتعرض للعقوبات واستحق غضب الله ﷻ.

أولاً: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله:

هذه الشهادة بمنزلة العمود من بيت البدويّ (الخباء) فإذا ذهب العمود سقط الخباء على الأرض، أو بمنزلة السقف من بيت الحضريّ.

ثانياً: وإقام الصلاة:

الصلاة ركن كأحد أوتاد الخباء الأربعة، وقد جاءت النصوص تؤكّد فرضيتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: 45]. وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: 114]، وقال رسول الله ﷺ: **«أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مراتٍ، هل يبقى من درنه - وسخه - شيء؟»** قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: **«فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»**[1].

وقال ﷺ: **«بين الرجل والشرك تَرْكُ الصلاة»**[2] وفي رواية:

(1) متفق عليه.

(2) أخرجه مسلم وانظر الترمذي في كتاب: الإيمان (الحديث: 2618).

«بين الرجل والشرك والكفر ترك الصلاة».

ثالثاً: وإيتاء الزكاة:

الزكاة ركن فرضه الله ﷻ أداء لحق نعمة المال، وهي الأساس الذي يعتمد عليه نظام التكافل المعاشي في الإسلام، وتجب الزكاة على من يملك مائتي درهم من فضة أو عشرين مثقالاً من ذهب أو قيمة أحد هذين من النقود الرائجة أو يملك تجارة ما يبلغ قيمة أحدهما.

وقد أجمع الصحابة والعلماء لو أن قوماً منعوا الزكاة استحقوا القتال؛ لأنهم يشجعون على الفقر (الكفر) وقد حارب أبو بكر الصديق ﷺ مانعي الزكاة، وقال: «لو منعوني عقالاً كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه».

رابعاً: وحج البيت:

الحج: القصد المعظَّم، وتلبية نداء الرب سبحانه وتعالى في الأماكن المقدسة لتمتلىء نفس المسلم والمسلمة بالعظات والعبر، وتتآلف القلوب على البر والتقوى.

وفي الحج ينعقد أعظم مجتمع بشري، يجتمع فيه المسلمون للتناصح والتعاون على الخير. والحج يجدّد إيمان المسلم والمسلمة في القلب، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: 97].

خامساً: وصوم رمضان:

الركن الخامس من أركان الإسلام، والصوم رياضة النفس على

تحمّل المشاق، والسمو بالروح لتكون على استشعار دائم لمراقبة الله تعالى. فالصيام يوصلنا إلى رتبة من مراتب الإحسان الذي عرّفه خاتم النبيين ﷺ، فقال: **«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك»**[1].

أيتها الأخت المسلمة: رأيت كيف أفهم خاتم النبيين ﷺ أهمية أركان الإسلام، وبيّن أهمية هذه الفرائض تفهيماً واضحاً يفهمه البدويّ والحضريّ.

وإذا كنُت لا تستطيعين الحياة في بيتٍ مهدَّم، أو تهدَّم أحد أركانه، فلا تتهاوني بشيء من هذه الأركان التي هي بيت المسلم وهويّته.

الطُّهور شطر الإيمان

عن أبي مالك الأشعريّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ[2]: **«الطُّهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها»**.

اللغة:

الطُّهور: التطهُّر. **شطر الإيمان**: نصفه.

---

(1) متفق عليه.

(2) أخرجه الترمذيّ في كتاب: الدعوات (الحديث: 3517)، ومسلم في فضل الوضوء كتاب: الطهارة، وشرح صحيح مسلم (الحديث: 533).

يغدو: بمعنى يذهب ويأتي.

ما يُفهم من الوصيَّة:

أختي المسلمة، لقد بيَّن هذا الحديث الشريف أموراً مهمَّة في حياة المسلمين، وخصالاً من الخير هامة، وبيَّن أموراً لها فضل عظيم عند الله ﷻ، وإليكِ شرحها:

الطُّهور شطر الإيمان:

الطهور: الوضوء، والغسل من الجنابة، ويشمل كل أنواع الطهارة. فالإيمان بالله يوجب على المسلمة الطهارة عند الصلاة وقراءة القرآن الكريم وغير ذلك.

والمقصود من التطهُّر: التحقق بالتطهُّر الكامل المادي والمعنوي. أي: أن يكون قلب المرء وجسمه طاهرين من كل أثر للشهوات والنقائص، والطهور الظاهري وسيلة لتطهير القلب والنفس، فإن الإنسان يرتفع مستواه بالطهارة. ويأنف من الأشياء القذرة الدنيئة. ناهيك عن أن الطهارة وسيلة عظيمة للوقاية من الأمراض والعِلل.

الحمد لله:

الحمد لله.. هذه الجملة فيها وصف الله ﷻ بغاية الكمالات؛ لأن كلمة **الحمد**: تشمل معاني المدح والشكر.

فالمدح: هو الوصف بالصفات الجميلة والكمالات التي توجد في الممدوح.

والشكر: هو الثناء الخالص لشخص أنعم عليه وأسدى معروفاً.

وعليه **أختي المسلمة**، فإن كلمة: **«الحمد لله»** جاءت لتجمع هاتين الصفتين، وإن (ال) في كلمة «الحمد» للاستغراق أي: أن الله تعالى استحق كلّ حمدٍ.

«والحمد لله تملأ الميزان» المقصود: ثواب هذه الكلمة، وإن تقديرها يصل إلى أعلى ما تقدَّر به أعمال المرء.

وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ):

(أو تملأ) هذا شك من راوي الحديث.

ومعنى **سبحان الله**: أي: تنزيهاً لله. والتسبيح: من السبح. وسبحان الله: معناها: تنزّه الله عن كل ما لا يليق به. وهذه الجملة تشتمل على غاية التعظيم لله.

فكأن هاتان الصفتان تملآن ما بين السماء والأرض. والمقصود نور هذه الكلمات الصالحة يملأ ما بين السماء والأرض.

والصلاةُ نور:

الصلاة نور؛ لأنها تشتمل على الإشراقات الإلٰهية التي يشرق بها النور الإلٰهيّ في قلب الإنسان المؤمن. ونور الصلاة يضيء للمسلمة طريق الخير في الدنيا؛ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما وأنها تنير الصراط المستقيم في الآخرة. والمقصود (هنا) بالصلاة: إقامتها على أكمل وجهٍ!

والصدقةُ برهان:

أي برهان على إيمان المسلمة؛ لأن المتصدقة أو المتصدّق قد بذل ماله؛ لأنه مؤمن إيماناً حقيقياً بالبعث والآخرة، فما تصدق هذا الإنسان إلا لإيمانه القويّ، فالمتصدق قد آثر الآجل وضحّى بالعاجل؛ لذلك سميت الصدقة: برهاناً؛ لأنه يثبت بينه وبين نفسه صدق إيمانه، وبينه وبين الناس.

والصبرُ ضياء:

الضياء أعظم من النور، وقد جعل الصبر أقوى من غيره؛ لأن كل هذه الأعمال تحتاج إلى صبر.

والقرآن حُجَّة لك أو عليك:

القرآن هو كلام الله المنزل على قلب نبيه محمد ﷺ بوساطة جبريل عليه السلام، فمن استمسك به نجح ومن تركه فهو حجة عليه.

كلُّ الناس يغدو:

كلُّ الناس يعمل في هذه الحياة، وهم في أعمالهم ينقسمون قسمين ظاهرين:

الأول: باع نفسه لله فضمنها من النار.

والثاني: بخل بنفسه فلم يبعها، فلم تدخل في ضمان الله وحفظه وكفالته فهلكت بذلك.

وقد عبّر عنه بالموبق؛ لأن هذه الكلمة تدل على الهلاك الكبير.

أختي المسلمة:

بادري إلى العمل بهذه الوصية، فكوني على طهارة معنوية تامة وأكثري من قول: الحمد لله، وسبحان الله والحمد لله مستشعرة المعاني التي تنطوي عليها هذه الكلمات. وأقيمي الصلاة فالصلاة نور، وتصدّقي على المحتاجين، واصبري على طاعة الله، ولتكثري من تلاوة القرآن المجيد بتدبُّر، وتطبيق لأحكامه لتبلغي مرتبة المعتقة نفسها من النار.

الأخلاق والإيمان

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ[1]: **«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً، وخياركم، خياركم لأهله»**.

ما يُفهم من الوصيَّة:

أختي المسلمة: يبيّن هذا الحديث الشريف أهمية الأخلاق في حياة المرأة المسلمة، ويضرب مثلاً يقاس به الإنسان في سلوكه الخُلُقي ليظهر صدقه، وعلامات التحلّي بالفضائل.

وقد قرَّر هذا الحديث أهمية الأخلاق ومكانتها لدى المؤمنين والمؤمنات، وقوله ﷺ: **«أكمل المؤمنين»** المقصود: المؤمنين والمؤمنات، وإنما ذكر المؤمنين على سبيل التغليب في الذِّكر وهو من أساليب البلاغة العربية.

فالأخلاق ترتبط بالإيمان، وتتناسب معه طردياً. فالإيمان

(1) أخرجه الترمذي في الإيمان.

ومحله القلب يتأثر بالسلوك الأخلاقي للإنسان المسلم. والإيمان يزيد وينقص تبعاً لكمال السلوك الأخلاقي ونقصانه. وقد روى الترمذيّ بسنده قال: عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله**».

وفي هذا الحديث الشريف قاعدة دينية مهمة تصحّح ما يدور في وهم الجاهلين الذين يتبعون أهواءهم وأوهامهم في تصوّر معاني الإيمان، إذ لا يرونه أكثر من فكرة عن الاعتقاد بوجود الله، وشيء من الشكليات التي لا يرون لها أهمية ولا يلقون لها بالاً.

كذلك، **أختي المسلمة** يوقظ هذا الحديث الغافلين الذين غرّتهم أعمالهم، فظنوا أن الشعائر الدينية كالصلاة والصوم مثلاً تقتصر على حدودها الضيقة، ثم لا يشعر أحدهم بالغضاضة أن يكذب أو يغش؟

وهذه الوصية من البيان النبوي تقرر أن الإيمان لا يتم ولا يكتمل بمجرد دعوى يعلنها الإنسان للناس من حوله. وإنما الإيمان نور يضيء في القلب، وينير شعاعُه سلوك الإنسان وتصرّفاته، فلذلك يجب على المرأة المسلمة ألا تفصل بين الأخلاق والسلوك الأخلاقي وبين الإيمان وآثاره.

خياركم خياركم لأهله:

أختي المسلمة: كم من أناسٍ يحسبهم الجاهل ملائكة تسير على الأرض، لا يكاد أحدهم يغلق باب منزله وراءه حتى ينقلب «شيئاً» آخر. هو بين الناس حسن الألفاظ، مهذب، بَيْدَ أنه في بيته

خشن، بذيء الألفاظ جاف غليظ الطبع.

فالمقياس الحقيقيّ لهذا الخُلُق هو هذه القاعدة.

«خياركم خياركم لأهله»

حيث تظهر الحقائق الدفينة في النفس الإنسانية تخبرك من أنتِ وماذا تكونين؟

فهذه أسس الأخلاق يحددها الإيمان، ومقياسها أجلى مظهر للنفس على سجيتها.

ونذكر بالسباق إلى الخير ومكارم الأخلاق، فلْتسع كل فتاة مسلمة إلى إكمال إيمانها وتجديده، ولتحسِّن أخلاقها.

إكرامُ الجار والضيف

عن أبي شُريح الخزاعيّ: أن النبيّ ﷺ قال[1]: **«مَنْ كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلْيكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيقل خيراً أو ليسكت»**.

اللغة:

ألفاظ هذا الحديث واضحة المعنى من حيث الظاهر ولكنها

(1) أخرجه **البخاري** في كتاب: الأدب (الحديث: 6019)، **ومسلم** في كتاب: اللقطة (الحديث: 4488)، **والترمذي** في كتاب: البر والصلة (الحديث: 1967).

تنطوي على معاني عظيمة القَدْر، سنذكر بعضها فيما يأتي.

ما يُفهم من الوصيَّة:

من التزم شريعة الإسلام لزمه إكرام جاره وضيفه، وبرّهما وهذا البيان النبوي، **أختي المسلمة**، تعريف بحق الجار، والحث على حفظه ذلك أن الله ﷻ أوصى بالإحسان إلى الجار في كتابه العزيز. وقد قال ﷺ: «**ما زال جبريل** عليه السلام **يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**».

وتعلمين **أيتها الأخت المسلمة** أن الضيافة هي من آداب الإسلام وأخلاق الأنبياء والصالحين، بل هي حق الضيف على المضيف كما جاء في الحديث عنه ﷺ حيث قال: «**إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بحق الضيف فاقبلوا، وإن لم يفعلوا فخذوا منهم حقّ الضيف الذي ينبغي لهم**».

وإكرام الضيف من مكارم الأخلاق التي أمرنا بها الإسلام، ويكون ذلك في أن نلقى الضيف بوجهٍ طلْقٍ، ضاحك.

فليقلْ خيراً أو ليسكت:

معنى ذلك **أختي المسلمة**: أنه إذا أردت الكلام، فينبغي أن يكون الكلام خيراً محققاً تثابين عليه. وإن لم يظهر لك «الخير» فالسكوت أفضل. سواء ظهر لك أنه حرام أو مكروه أو مباح.

وتذكّري قول الله ﷻ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [قَ: 18].

وقد ندب الشرع إلى الإمساك عن كثير من المباحات لئلا ينجر صاحبها إلى المحرمات أو المكروهات.

وقد قال الإمام الشافعي ﷺ: إذا أراد أن يتكلم فليفكّر، فإن ظهر له أنه لا ضرر عليه تكلّم، وإن ظهر له فيه ضرر أو شك فيه أمسك.

جماع آداب الخير:

قال الإمام أبو محمد بن أبي زيد إمام المالكين بالمغرب: جماع آداب الخير يتفرع من أربعة أحاديث:

1 ـ قول النبيّ ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»**.

2 ـ وقوله ﷺ: **«من حُسْن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**.

3 ـ وقوله ﷺ للذي اختصر له الوصية: **«لا تغضب»**.

4 ـ وقوله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**.

وقال أبو القاسم القشيريّ: الصمت بسلامة وهو الأصل، والسكوت في وقته صفة الرجال، كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال.

وقيل: من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس.

وقال ذو النون المصريّ: أصون الناس لنفسه أمسكهم للسانه.